

Die Toten haben zu tun

الموتى مشغولون

مسرحية إذاعية ل: وائل قدور و مضر الحجى

رامي (طه):

هل أنا قاتل أم مقتول؟

كيف لمقتول أن يقتل؟

ربما المقتول هو الأكثر قدرة على القتل؟ ميرا كانت مقتولة قبل أن أقتلها...

ميرا قتلت نفسها بعد أن قتلتها

أنا لا أقوى على القتل

لو أنني قادر على القتل لربما كنت أفضل حالاً الآن... ها أنا الآن أتلاشى... لدي خيارين،
أنتظر الموت أو أستعجله فأقتل نفسي... لا أملك الشجاعة لقتل نفسي... يمكنني فقط أن
أغادرها.. كما غادرت سوريا... كما غادرت الأطفال في لبنان.. كما غادرت ميرا... كما قتلتها

===

رامي (طه): أول ما وصلت على ألمانيا فكرت حالي صرت خبير بشؤون المنفى بعد ما

عشت

هالتجربة سنتين بلبنان.. عرفت أنني بحاجة فترة لحتى أهدى وعرفت أنو هالفترة رح تطول.. وعرفت
كمان أنني رح أكتئب.. بس يبدو أنو الواحد ما فيو يصير خبير بشؤون المنفى من مجرد تجربة وحدة..
بألمانيا كان في تفاصيل جديدة ما كنت حاسب حسابها... البرد.. المعاملات الورقية اللي ما بتخلص..
اللغة... كل يوم كان عندي ورقة جديدة لازم أعملها وبالتالي أنا عم أطلع كل يوم من البيت.. وبالتالي
ما فيني طبق خطتي اللي حطينا لحالي واللي هي ببساطة كم يوم راحة بيتحولوا لسنة كآبة وبس
تخلص الكآبة يبقى بشوف شو بدي أعمل بحياتي.. كل يوم كنت أضطر أجل الخطة لأنني مضطر أطلع
من البيت، وبس بلشت أكتشف أنو هاد الوضع مطول.. قررت غير الخطة ووزع وقتي كل يوم من
الستة

الصبح للستة المسا أوراق ومعاملات وبحث عن غرفة للسكن.. من الستة المسا ل12 بالليل كآبة..
مشيت الخطة بس أحياناً كانت تتخربط يعني مثلاً كون مكتئب وأنا برات البيت بشي مؤسسة حتى أنو
في مرات موظفين تعاطفوا معي بسبب شكل وجهي وأنا عم مشي الأوراق.. ومرات كمان كون
بالبيت بالفترة المخصصة للكآبة بس بضطر اقطعها لأنني مضطر أكتب ايميل أو قدم على غرفة لقيتها
عالتت ... مع بداية مدرسة اللغة الألمانية كان من المستحيل فصل الحالتين فاندمجوا بعض لدرجة أنو
لا عم قدر كون شخص فعال في الحياة ولا عم اقدر كون كئيب... وصار أسمى
لاجئ.....

ميرا: ما عندك أصدقاء هون

طه: في بس كل حدا ملتني بحالو

ميرا: وأهلك؟

طه: أنا ما عندي أخوة.. أبي مات من زمان وأمي ما رضيت تطلع من سوريا بعدها عايشة مع أخواتها بالضيفة.. بقدر حاكيها من فترة لفترة حسب وضع الانترنت عندها

ميرا: أنا ما عندي أصدقاء كثير... كانوا ولادي ياخذو كل وقتي كانوا أصدقائي.. أنا عندي وضع صحي خلاهون بعاد عني.. بس عندي هالكلب أرفين بعثيرو صديقي

طه: جد بتعتبريه صديقك!

ميرا: غريب؟

طه: ما يحب الكلاب...

ميرا: عندك فوبيا؟

طه: له شو فوبيا...!!! بس ما بستلفون.. ميرا:

يمكن بس تجرب تكون قريب منون تغير رأيك

طه: رح أعجب

بأفكارون يعني؟

ميرا: كمان نكتك غريبة

طه: انزعجتني.. آسف

ميرا: ما زعجتني... بس غريبة

طه: كل شي عم أحكيه عم تلاقيه غريب...

ميرا: حلو شعور الاستغراب أو الدهشة

طه: عم عيشوا كثير من لما وصلت لهون

ميرا: أنا قليل كثير لعيشو

طه: متلي لما كنت عايش بالشام... بعد الثورة انكسر الإيقاع.. صار في دهشة أكثر.. بس نوع مختلف..

فيا تكون صدمة أكثر... حتى أنك بتبرمجي حالك لحتى ما تتوقعي شي... مثل الأفلام اللي بتنسبتي

وأنتي عم تشوفيها... ما فيكي تتوقعي شي... بس الفرق أنك كأنو أنتي شخصية بهالفلم... ما بتعرفي شو

رح يصير.. بس بتعرفي أنو في شي رح يصير.. وبتسلمي حالك للفيلم... بتسلمي حالك للكاتب..

وبتصير بتنتهي يمر عليك وقت بدون ما يصير شي

ميرا: هيك كثير ما؟

طه: الدهشة الأكبر طبعا هي وأنت عم تراقبي حالك كيف عم تتعامل مع هاد الكثير

(صمت)

ميرا: أنا أسمي ميرا عايشة أنا وزوجي طوني وهالكلب الحلو أرفين.. بيت كبير وعنا غرفة عم ندور

على مستأجر... بتجي تسكن عنا... فيك تكون ضيف وفيك تكون مستأجر؟

===

صوت رامي (طه):

أنا اسمي طه، عمري 33 سنة، من سورية من درعا، كان العالم بالنسبة إلي هو أبي وكان العالم بالنسبة لأبي هو أنك تكون بطل... كلمة بطل هي أكثر كلمة سمعتها بطفولتي.. وبمراهقتي كمان.. وبشبابي... لحتى سنة اللي توفي فيا أبي.. طبعا ما عندي تعريف واضح لكلمة بطل.. شخص عظيم... شخص بيضحى مشان الناس.. شخص بيقا تل لياخذ حقوقو.. أو يمكن كل هدول مع بعض

بال2004 مات أبي، بكيت كثير عند قبرو ووعدتو أنني رح كون بطل، كان كل فترة يجيني بالنام، أحياناً يكون مبسوط وهاد يعني أنني ملتزم بالعهد وأحياناً يكون غاضب وهاد يعني أنني عامل شي غلط بدون ما يخبرني شو الغلط، مع مرور الأيام صارت زيارتو أقل، وتقريباً كان غاضب بكل هي الزيارات

===

(في غرفة إنتظار في مبنى حكومي مزدحم)

ميرا: تماماً... متزوج؟

طه: عم تسأليني!! طبعا

لا ميرا: اي عم اسألك

طه: معقول كون متزوج وما قلتك!

ميرا: طبعا معقول... ليش لتقلي أصلاً

طه: أوكي عازب، كيف بدى اكتبها؟

ميرا: أوكي هات لأكتب أنا معك شهادة جامعية؟

طه: أي صحافة

ميرا: أوكي تمام.. شو فيك تشتغل؟

طه: كيف يعني؟ ميرا: هبي واضح كثير السؤال

طه: أوكي، وواضح كثير أنني معي شهادة صحافة.

ميرا: أوكي دارس صحافة، بس هاد مو معناتو أنك ما بنتشغل غير بالصحافة، ممكن ما يلاقولك شغل بالصحافة، رح يلاقولك شغل ثاني ولازم تقبل تشتغلو.

طه: أي بس أنا أصلا ما بدى أشتغل بدى كمل دراسة.

ميرا: أنت حر.. بس هيك ما رح يدفعولك مصاري... اسمعني.. أنت يا أما عم تدرس لغة أو عم تدور على شغل، هيك بس هنن ملزمين فيك... واذا ما لقيت شغل هنن رح يلاقولك شغل على كيفون.. فاختصر على حالك وسجل الأشياء اللي ممكن تشتغلها أو اللي عندك خبرة فيها.

طه: أوكي... عندي خبرة بمسرح الدمى.. بلبنان اشتغلت بمخيم اللاجئين السوريين مع الأطفال كنت علمون على تصميم الدمى ودرجهون على التحريك وكيف يعملو مسرحيات.

ميرا: عم تمزح... خليك عالصحافة أحسن... اسمعني، أنا بعرف منيح كيف بيشتغلو هون.. هاد النوع من الشغل مو كثير متوفر... وخصوصا هون ببرلين... كل الناس ببرلين فنانيين هيك رح يقولوك.. ما فيهمون يأمنو شغل لكل هالعالم

طه: طيب... تصوير؟

ميرا: ممممممممم ماشي الحال مع أنو ما كثير فرقت

طه: ميرا.. أوكي بالنهاية هاد اللي بعرفو.. بس بالأخير ممكن أشتغل أي شي

ميرا: طيب خلينا نشوف... لغتك الانكليزية منيحة؟

طه: وسط

ميرا: بتقدر تشتغل أشياء بدها جهد عضلي؟

طه: حسب الأشياء.. ما فيني أحمل أشياء ثقيلة كثير... وما فيني ضل واقف لوقت طويل

ميرا: طيب تمام هيك...

طه: خلصنا؟

ميرا: هي خطوط عريضة هلا بس منفوت رح ياخذ الموظف تفاصيل أكثر...

طه: طب اشرحلو أني بدى كمل دراسة؟

ميرا: فيك تشرحلو اللي بدك اياه.. بس صدقتي ما حيفيدك بشي أنت أصلاً مخلص دراسة.. رح تعمل دكتوراه مثلا..؟

طه: لا رح ادرس تمثيل

ميرا: جد!!

طه: أنو شو كبير يعني؟

ميرا: لا بس أنو عندك طاقة تبلش من أول وجديد؟

طه: أخذت هاد القرار وأنا عالطريق على ألمانيا وتحديدًا أول ما قطعت الحدود الألمانية وعرفت أنني خلصت وصلت كل الطريق وأنا عم أسأل حالي نحن ليش عم نتعذب كل هالعذاب مشان شو؟؟ شو اللي بيستاها كل هاد... أكيد في شي بيستاها... بس أنا نسييتو... أو تخليت عنو وكل ما وصل لهون اتذكر حلمي أني صير ممثل، قدمت عالمعهد وما قبلوني قام تنازلت عن حلم التمثيل، ودرست صحافة... بس هلا حاسس أنو عندي طاقة لأرجع لحلمي الأول.. غير هيك رح كون عم ضيع وقتي بس

(صمت طويل)

=====

طه (رامي):

أكون أم لا أكون؟ ذلك هو
السؤال. أمن الأنبل للنفس أن يصبر
المرء على
مقاليع الدهر اللثيم وسهامه
أم يُشدهر السلاح على ابحر من الهموم،
وبصدها ينهيه؟ نموت
...ننام.. وما من شيء بعد ...أنقول بهذه
النومة ننهي لوعة القلب، وآلاف الصدمات
التي
من الطبيعة تعرض لهذا الجسد؟ تلك غاية
ما أحر ما تُستهي. نمو ...ننام..
ننام – وإذا حلمنا؟ أجل لعمرى، هناك العقبة.
فما قد نراه في سبات الموت من رؤى،
وقد القينا بفانيات التلايف هذه عنا،
يوقهنا للتروي.
ذلك ما يجعل طامةً من حياة طويلة
كهذه. وإلا فمن ذا الذي يقبل صاغراً سياط
الزمان
ومهاناته،
ويرضخ لظلم المستبد، ويسكت عن زراية
المتغطرس، وأوجاع الهوى المردود على نفسه،
ومماطلات القضاء وصلافة أولي المناصب،
والإزدراء الذي
يلقاه ذو الجدارة والجلد من كل من لا خير فيه

رامي: (طه)

بفحص القبول بالمعهد قدمت مونولوج هملت، حظيت كل طاقتي بالمشهد، اللجنة ما قالت شي بس
كانوا عم يضحكوا، حسيت بالإهانة، وقررت ما أرجع بالمعهد، وما عرفت أصلاً اذا قبلوني ولا لا،
و درست صحافة، كنت مفكر أنو هي مهنة الأبطال، أربع سنين بالجامعة علموني شغلة وحدة بس، ما
في شي اسمو بطل بسوريا، الصحافة لازم تقدم للناس الحقيقة، بس بسوريا الوضع مختلف، ما حدا
بيقدر يقول الحقيقة، يمكن بسبب الخوف، ويمكن بسبب اليأس، أنو الناس أصلاً بتعرف الحقيقة، شو
الفايدة أنك تخبر هون اياها.. مششان التغيير...! كنت كل ما احكي لحدا أنو لازم نخبر الحقيقة مشان
التغيير، بيتسم بسخرية.. كانوا عم يقلولي: أنت ساذج.. أو أنت مو فهمان بأي عالم عايش.. وبأفضل
الأحوال.. لساتك صغير وناقصك تعرف كثير أشياء لتفهم كيف الحياة ماشية بهالبلد... كانوا أنا جاية
من كوكب ثاني... كأني عم احكي مع الناس بلغة مختلفة ما يفهموها.. وكأني عم اتحول لضحية!!..
بس أنا لازم كون بطل ما كون ضحية... يمكن الضحية أصلاً هي بطل محبظ.. محبظ لأنو ما حدا
سمعو.. لأنو بيفكر بشجاعة.. مثل هملت يعني.. يعني أنا هملت... هاد أكثر شي فيني أعملو بسوريا..

أني كون هملت.. زيارات أبي بالحلم عم تصوير أقل.. ووجهو بكل مرة عم يكون شاحب أكثر من المرة
اللي قبل... كنت
فكر أنو معو حق أنا تخليت عن وعدي ألو..
===

رامي: (طه)

كان بيت طوني وميرا كأنه الحضن اللي تلقاني في البلاد الغربية، شعور عارم بالأمان، بالثقة، بالحب،
رافقتني ميرا في كل لحظة احتجت فيها لدعم، أوراق رسمية، جوب سنتر، التعرف على المدينة،
وحتى بتعلم الألماني، ما كان بينقص هادا الجو المثالي إلا جواب على سؤالي اللي خفت أن أسأله
مباشرة، في سر ما بعرفه.. شي غريب بعيون ميرا.. حزن عميق عم تفشل أنو تخبيه فبتختفي
بغرفتها لساعات ويمكن أيام.. تماما مثل ما كنت أعمل في الشهور الأولى اللي تلت خروجي من
سوريا... بذكر وقتها إني كنت أدفن نفسي بغرفتي ببيروت وأتمنى أن ينسى العالم وجودي للأبد...
معقول ميرا عم تتمنى نفس الشي ميرا... شو عم يصير معها؟ شو يلي عم خليا تكون بكل هالعصبية؟
وين كانوا ولادها؟ وشو هاد التوتر الدائم بينها وبين طوني اللي ينتهي فجأة، الخصوصية هون مقدسة،
بس أسألتي اللي عم تكبر
يوم بعد يوم، عم تعكر صفو الأمان، وعلى وشك أنو تقتله.

===

غرفة ميرا (طه يقرأ اللغة الألمانية بركاكة)
طه يقرأ: دخل الرجل إلى المطعم، وطلب شراب المستنقع مع البرتقال

ميرا: لحظة شوي شو قلت؟
طه: شراب المستنقع مع البرتقال... ليش عم تضحكي؟
ميرا: وبين المشكلة؟

ميرا: ليش برأيك؟

طه: ما بعرف

ميرا: كيف يعني وطلب شراب المستنقع مع البرتقال؟

طه: ما بعرف.. هن هيك كاتبين

ميرا: بس فكر فيها بالمنطق طه..

طه: أنو يمكن قصدون.. المي اللي بينقعو فيها قطع البرتقال

ميرا: هي باللغة كلمة مستنقع moor وكلمة جزر Möhre قراب من بعض شوي.. بس إذا بتدقق رح
تشوف إنو لفظن أبداً مو نفس الشي؟ سماع moor Möhre ... شاييف كيف لفظهن؟

طه: بالنسبة إلي نفس الشي

ميرا: ما بصير طه يكونوا نفس الشي.. ما فيك تروح على مطعم وتطلب شراب المستنقع.. رح
يضحكوا عليك..

طه: مثل ما عملتي إنت

(صمت قصير)

ميرا: آسفة

طه: خلص خلىنا نوقف هون اليوم

ميرا: لأ خلىنا نكمل.. بلا كسل

طه: مو كسل والله.. بس أنو اليوم تعبتك.. بين الجوب سنتر والبلدية... ست ساعات وانت شغالة معي مترجمة ومسيرة معاملات..

ميرا: بس أنا منيحة ما عندي مشكلة

طه: بعرف بس منيح إزا منرتاح شوي

ميرا: بس أنا مو تعبانة

طه: أنا تعبت ميرا.. أنا تعبت.. محتاج أرتاح

(صمت قصير)

طه: ميرا إنت عم تعملي كل جهدك تساعديني وعم تعبيلي وقتي نشاطات ومواعيد من الصبح

للمسا

طه: ما عم قول في مشكلة، بس أنا ما عم بقدر لاقى وقت كون فيه مع حالي

ميرا: شو بدك تعمل بهاد الوقت؟

طه: عفواً؟

ميرا: بدك وقت خاص مشان تكتئب، صح؟

طه: إي وين المشكلة؟

ميرا: المشكلة إنو هاد الشي ما رح يفيدك

طه: ما بعرف إزا رح يفيدني أو لأ، بس بما إني عم حس بحاجة لهاد الشي فليش لأ

ميرا: ما بصير طه.. ما بصير تعمل أشياء إنت بتعرف إنها مو منيحة.. لازم تقاوم

طه: إنت نفسك مرات بتكوني رايقة، ومرات بتختفي بغرفتك لساعات وما بتسمحي لحدنا يحكي معك..

ليش إنت مسموح تستسلمي للاكتئاب وغيرك لأ؟

ميرا: بس أنا ما بكون مكتئبة

طه: بتكوني عصبية ومتوترة وبس بدك تكون لوحداك

ميرا: مزبوط

طه: على فكرة أنا كثير مستغرب منك.. كل الوقت بفكر أنو احترام الخصوصية عندك خط أحمر وما بيصير حدا يتجاوزو أي كان السبب

ميرا: بس نحن صرنا كثير أصدقاء ومنخاف على بعض وندعم بعض.

طه: أوكي... مو طبيعي تخبريني كصديق شو قصتك... التوتر والعصبية اللي بيصيبوكي فجأة.. قعدتك لحالك بغرفتلك لساعات.. مزاجيتك اللي ما أها حدود...

ميرا: معك حق... بس ما خطرلي أنو ممكن يكون عندك كل هالأسئلة عن حياتي.. أو يمكن خطرلي.. بس كنت عم اتهرب من التفكير بالقصة

كنت على طول أتمسخر عالناس اللي بيكتبوا مذكرات بس آخر شي اضطريت! بدى ياك تعرف بقصتي بس يمكن رح تخاف مني أو يمكن تخاف علي وهاد الشي يلي ما بدى ياه.

(صمت قصير)

(تفتح ميرا درجا قريباً تخرج منه دفترها تعطيه لطفه)

23 شباط

اسمي ميرا، عمري 38، عم بكتب هي اليوميات كجزء من برنامج علاجي من الإدمان على مادة المورفين.

(طه يقرأ): عم بخضع لهاد البرنامج من عدة أسابيع تعرضت خلالن لنكسة حادة اضطروا على أثرها يحقنوني بالمورفين أكثر من مرة.. وعلى أثرها كمان تم عزلي عن أطفالي لأنني، بحسب التقرير الطبي

الأخير، ممكن شكل خطورة على حياتن بنفس البيت..

واليوم عم ببلش مرحلة استشفاء جديدة بتمنى إنها تكتمل وأقدر أرجع عيش مثل أول.. إي مثل أول.. اليوم فيني أتذكر حياتي قبل المورفين كأنها حلم.. حلم حلو وطويل.

(ينتقل الصوت من طه إلى ميرا تدريجياً)

لفترة طويلة كان فيني أوصف حياتي إنها سعيدة.. قدرت حقق كل شي حلمت فيه بيوم. حياتي منظمة وهادية ومستقرة. كل شي موجود بحياتي إله معنى. حتى لما بنام ما بشوف أحلام مزعجة. غالباً لما بنام بشوف سطح مي.. مي هادية.. غالباً سطح بحيرة. ما بعرف وين بالزبط بس عالأكد هي بحيرة.. هادية. مثل حياتي.. بيت حلو وزوج محب وأطفال بصحة جيدة واستقرار مادي.. عيلتي بخير وأصدقائي كتار.. وحياتي آمنة.. عشت كل عمري هيك.. بأمان. كأنها الجنة عالارض.

كنت بعرف منيح إنو العالم مو كله هيك.. وإنو برة حدود هالجنة في مآسي كثير وحروب ومجاعات وكوارث، وكنت بعرف إنني ما بقدر أعمل شي..

الحقيقة ما في شي بحياتي مو عادي.. حياة هادية وسلسة ومنظمة.. حياة بحبها.. أو كنت حبها

بلش كل شي من كم شهر..

كان بقيان على عيد ميلادي كم يوم وطوني اقترح هالسنة نقضي عيد ميلادي بعيد عن الناس.. طوني بيعرفني اديه بحب احتفل وشوف رفقاتنا اللي بحبن بعيد ميلادي بس مع هيك اقترح نروح بعاد

عالريف.. فوراً كشفت خطته.. صرت بعرفه منيح.. عرفت إنو رح يعملني مفاجأة وإنو رح يجمع كل الناس اللي بحبن بيتنا الريفى..

وبالفعل هداك النهار طلب مني روح بالسيارة على منطقة بعيدة شوي لحتى جيب شوية غراض للعشا.. بعنتي بعيد عن البيت.. فترة ساعتين تقريباً.. كانوا كافيين لحتى يوصلوا صحابنا ويرتبوا المفاجأة.. تواطنت معه وعملت حالي ما بعرف.. صرت سوق السيارة ببطء.. كنت مبسوطه..

مريت من جنب بحيرة صغيرة.. مع إنني بسوق من هاد الطريق كثير مرات بس ولا مرة انتبهت لوجودها.. يمكن لأنني هالمرة عم سوق أبطاً من العادة.. ولحتى أعطي طوني وقت أكثر قررت صف وأنزل شوف البحيرة.. قعدت على طرفها وصرت راقب.. الجو كان هادي كثير.. ما في أي نسمة هوا.. صرت راقب المي الهادية.. كأنني عم شوف حلم ممتد من أحلامي.. شردت.. تسطحت.. غمضت عيوني.. ويمكن نمت.. لأول مرة ما بشوف سطح المي من فوق.. بشوفه من تحت.. يعني المي كانت حوالي وعم بطلع لفوق.. كان مريح الإحساس.. كنت بعرف إنو ما في هوا وإنو نفسي عم يخلص بهدوء بس هالشي ما كان مدايقتي..

لما فتحت عيوني لقيت الوقت تأخر.. رجعت بسرعة عالسيارة وسقت باتجاه البيت..

عالطريق كنت عم أحزر مين رح يكون بالحفلة.. عرفت نوع الجاتو اللي رح يجيبه.. نوع الموسيقى اللي رح يشغلها.. الزينة.. شفت الصور اللي رح نتصورن.. وشفت مكانن بألיום العيلة وين رح يكونوا.. كل شي كان.. مكشوف..

— على دوار صغير قبل بيتنا.. سيارتي فانت بسيارة تانية كانت عم تحاول تقطع الدوار.. ما بعرف كيف صار الحادث.. كل شي متأكدة منو إنني ما شفت السيارة.. كأنها ما كانت.. دريت بعدين إنو الحادث كان خطير.. التقرير أكد إنو سيارتي فانت بالسيارة التانية بتسارع.. عرفت بعدين إنو هبت النار بالسيارة.. وإنو سحبوني منها فاقدة الوعي.. خبروني بعدين إنني نعدت من الموت بأعجوبة.. رضوض قوية.. رجلي انكسرت كسر مضاعف ومفصل ركبتي تعرض لتفتت تقريباً.. فنتت بسرعة عالمشفى وأخذت كل العلاج اللازم.. عملت عدة عمليات جراحة عظمية برجلي.. ما كان في خوف على حياتي.. بس كان في خوف ما أرجع أمشي مثل أول..

هاد كله طبعاً ما بتذكر منه شي.. أول إحساس حقيقي بتذكروا من كل هاد هو لحظة استيقاظي بعد العملية بعد زوال تأثير البنج.. موجة ألم شديدة كانت عم تخليني أصرخ بكل قوة.. جحيم.. كأنو في حدا عم يحفر جسمي بمتقب.. بسرعة بيفوت ممرض وبيحقتني بمادة.. تدريجياً وبسرعة بيتلاشى الوجع..

بصير خفيفة وبرجع بشوف قدامي أكثر صورة هادية ومطمئنة بحياتي.. سطح مياه البحيرة.. قبل ما

انتبه عالوقت وأرجع بسرعة عالسيارة..

.. قبل ما أحزر ترتيبات طوني للحفلة.. قبل ما شوف وجوه ضيوفنا وصورنا ومكانن بألبوم العيلة..
المادة اللي حقني ياها الممرض حملتني لقب كل هاد.. قبل ما يتركني بسأله: شو اللي حقنتني فيه؟ بيتسم
ويتكون ابتسامته هادية من سطح المي وبيهمس:

هاد المورفين.....

خلال الأيام اللي تلت العملية كنت عم بطلب المورفين باستمرار.. من جهة بالفعل كانت آلامى
شديدة وبحاجة مسكن فعال مثل المورفين، ومن جهة ثانية كنت عم استمتع بتأثيره.. وأديه ممكن
يخليني خفيفة..

بعترف.. في لحظة أدركت فيها تماماً خطورة اللي عم بعملو.. في لحظة إجتني كنت قدراة فيها، ذهنياً
على الأقل، إني قاوم وأتحمل الوجع وما أطلب جرعة جديدة.. كنت بعرف أديه ممكن اعتمادي
عالمورفين يهدد صحتي واستقرار حياتي الساكنة مع زوجي وأطفالي.. بس ما بعرف ليش كنت عم
غامر بكل هاد.. ما بعرف ليش استهترت واستبعدت احتمال إني صير مدمنة.. كأني تكبرت على هاد
الاحتمال وأنكرت إنو ممكن يصيني.. كأني محمية.. شو كان بدي؟ شو اللي كنت عم دور عليه؟.. ما
بعرف شو اللي عم امشي باتجاهه.. ما بعرف شو اللي موجود تحت سطح هالمرضى الهادي.. ما بعرف
وين كنت مخيبة جواتي كل هالوجع!

كل شي بعرفو إنو الألم ما عم يخلص والمورفين عم يخلص..

===

طه (رامي): الألم ما عم يخلص والمورفين عم يخلص... علقت الجملة براسي ولسبب جهله
تماما صارت الجملة بخيالي مكتوبة على لافتة مرفوعة بمظاهرة بدرعا ببداية الثورة السورية...
الألم ما
عميخلص والمورفين عم يخلص..

2011 انطلقت الثورة بسورية، فوراً وبدون تردد انضمت لتسيقية البلد وصرت من أكثر الشباب
الفاعلين، كان أملي كبير بانتصار الثورة، وكان أملي أكبر بأنو أبي رح يزورني بالحلم وهو مبسوط
مني.. صرت الإعلامي المسؤول عن قول الحقيقة.. النظام كان يقول ما في مظاهرات.. أنا كنت صور
المظاهرات.. النظام يقول أنو في إرهابيين عم يخربوا البلد.. أنا كنت صور المتظاهرين السلميين
وصور رجال الأمن وهنن عم يقتلوا الشباب ويعتقلوهن... النظام كان يمنع المراسلين من كل أنحاء العالم
يوصلوا لعنا حتى يفرجوا حقيقة اللي عم يصير ويفرجو وحشية النظام السوري... أنا كنت قوم بهالدور..
الثورة كانت بالنسبة إلي فرصة لحتى ما كون ضحية.. لحتى كون بطل مر سنتين الثورة ما انتصرت..
الثوار بعضهم انسحب وبعضون اتسلح... النظام عم يقصف كل المدن اللي ثارت عليه في مدن
انمسحت عن وجه الأرض.. المظاهرة صارت فعل انتحاري.. والنشاط السلمي ما عاد ألو مكان جربت
غطي المعارك الحربية اللي عم تصير... بس من أول معركة غطيتها عرفت أنو هاد مو مكاني.. خفت
كثير من أصوات الرصاص والإنفجارات.. ومن كمية القتل اللي شفتو حاولت صارع الخوف واليأس
والتعب... كان لسا في بالبلد كم شب مثلي.. تواصلت معون وقدرت أقتعون أنو نجمع لحتى نرجع نحيا
النضال السلمي. اجتمعنا واتفقنا نشغل سوا، عطوني فرحة رجعتني لأول يوم بالثورة خلص
الاجتماع ونحن عم نودع بعض... نزلت قذيفة فوقنا ما بعرف كيف ضليت عايش.. كنت عم شوف
بس أشلاء رفقاتي حوالي... وغبار... وغبار...

غبار.. غبار وبذكر أنني شفت أبي.... ساعدني وقف على أجري ونفض تيابي واطلع.... وبدون ما
ضب اغراضي وبدون ما ودع حدا سافرت على بيروت...

الألم ما عم يخلص والمورفين عم يخلص...

===

وهي حالة ميرا هالأ.. وجع كثير وما في مورفين..

فترة اختفاء جديدة.. كل كم ساعة بقرب من باب غرفتها بلاقيه مسكر بس بلاقي أركو ناظر متلي نحن

التنين قلقانين عليها

بنزل للمصالون.. بيلحقني وبيقعد قدامي وعم يسألني بعيوني عن ميرا - ما بعرف شيها.. مثل مانك شايف

صرلها يومين بالغرفة

بروح أركو بجيب اللعبة تبعه وبحطها قدامي وبوقف وبهز بدنیه

- أوك أركو أنا عم باخد ويعطي معك شوي، وواضح إنو في موضوع مشترك بيعيننا نحن التنين بس هاد ما
بيعني إنو رفعا الكلفة لهدرجة.. أنا جد مو صحبة مع الكلاب وبتمنى ما تاخذ هالشي بشكل شخصي

أركو كل مانو عم يصير سعيد أكثر ومتحمس للعب أكثر.

(هون ببيلش مقطع طه بالألماني)

انتبهت إنني كنت عم بحكي معه بالعربي.. قلت بركي إزا بحكي معه ألماني بيفهم.

- ليك يا سيد أركو.. الحقيقة أنا ما بحب أبداً لما ميرا بتحبس حالها بغرفتها، بس ولكن هاد هو الوقت
الوحيد اللي بكون فيه قدران مارس كأبتي بهدوء.. فلو سمحت خود لعبتك وحل عني شوي.. بتعمل
معروف يعني.. ما عندك كآبة تعيشها؟

شوي شوي وخلال أيام كآبة ميرا، أركو وأنا كنا عم نصير صحاب..

صرت أعرف أوقات أكل أركو والكميات المطلوبة.. صرت آخو برة البيت مشان يتمشى ويشخسخ..

طبعاً أسوأ جزء هو لما يعمل كاكأ.. هون لازم يكون معي كيس خصوصي مشان شيلها فيه.. وخود

على لحظات سعيدة!!

الكل عم يقول، وأنا أولهن، إنو إبعاد أطفالي عني رح يكون سبب كافي إلي لحتى وقف اعتمادي
عالمورفين.. الكل مؤمن، وأنا أولهن، إني رح استمد من حبي لأطفالي القوة الكافية لحتى أشفي
تماماً من إدماني

كلما بطلع على أطفالي وبشوف أديه هنن كائنات حلوة وضعيفة بخاف عليهن كثير..

عالتفزيون بشوف أخبار الحروب اللي جاية من كل أنحاء العالم وبشوف الأطفال الضحايا وما
بعرف شو بكون الإنسان عم يفكر وهو عم يقتل الأطفال ويشردهم.. بعرف منيح إنو هي الحروب
بعيدة عن حياتي بس بضل خايفة.. بدون ما انتبه بلاقي حالي مركزة على أخبار اختفاء الأطفال..
الأطفال اللي ضاعوا عن أهاليهم.. انسرقوا.. انخطفوا أو انقتلوا.. بيجمد الدم بعروقي لما اتخيل لثانية
إنو ممكن أطفالي يتعرضوا لمصير مشابه.. جارنا هانز.. ابنه الوحيد مات السنة الماضية بجرعة
هيروين زائدة.. ابنه عمره 21..

بعد موت ابنو لهانز ولفترة منيحة بقيت خايفة من احتمال مصير مشابه لواحد من أطفالي.. صرت
أتخيل حدا ممن يدمن ويموت بجرعة زائدة.. حاولت كثير سيطر على هي الأفكار وما تتحول لهوس،
واعتقدت بالفعل إني طردت هالمخاوف من راسي.. كثير بضحك إني أنا اليوم اللي صرت المدمنة!
الكل معلقين أملهن علي.. طوني، أهلي، رفقاتنا، جيراننا، حتى ولادي نفسهن.. الكل اليوم مراهن علي..
كل العيون موجهة نحوي.. ما بصير أخذلهم.. أنا الوحيدة اللي بقدر أنهي هالوضع.. حاسة حالي مثل
لاعب كرة قدم وقع عليه الخيار يسدد آخر ركلة جزاء بمباراة نهائية.. كل العيون موجهة نحوه.. الكل
فجأة اعتبروه البطل تبعهن وعلقوا عليه كل آمالهم.. فجأة لقي حاله بطل.. وإزا ما قدر يكون بطل الكل
رح يلغنه ورح يدمروه ورح يعتبروه فاشل للأبد..

الغريب إنو بأكثر لحظة بتكون فيها ضعيف هي نفس اللحظة اللي البقية بيطلبوا منك تكون بطل.. غريبة
هالمفارقة بنظامنا الاجتماعي.. اليوم أنا بأضعف لحظة بحياتي.. مدمنة على مادة مخدرة قوية
كثير.. وهي نفس اللحظة اللي الكل ناظر مني كون بطلا!

من وقت ما بعدو ولادي عني، والكل عم يحكي عن ضرورة إني حب ولادي وأتخلص من إدماني..
الكل صار يربط بين محبتي لاولادي وبين قدرتي على التخلص من المورفين.. وكأنن عم يقولو إني إزا
بفشل من التخلص من المورفين فأنا ما بحب ولادي كفاية.. فجأة صار حبي لولادي حب مشروط..

=====

طه (رامي):

بعد ما ترجع ميرا من كل زيارة لعند الاولاد بترجع حزينة... خبرتني أنو الاولاد يوم عن يوم عم يصيرو بعيدين عنها وباردين معها.. خبرتني أنو بعدها عنن عم يخوفها أنو تصير غريبة عنون.. وأنا عم شوف وحس بكمية الألم اللي عايشة فيه ميرا.. بالحب أنقذتني ميرا من دوامة الكآبة وهي اللي عم تصارع كآبة أمر وأفسى، أجا دوري لحتى حب، لحتى أعطي، وكأني عم عيد خلق حكايتي من جديد، لجأت للمسرح تماما مثل ما عملت في بيروت.. هي الطريقة التي أنقذت نفسي فيها لما كنت ببيروت.. مسرح الدمى.. أفنعت ميرا أنو اذا قدمت لأولادها مسرحية دمي هاد رح يخلي علاقتها فيهون تتحسن.. بصعوبة اقتنعت وبلشنا

شغل ميرا: ما رح يحبو هالمشهد خرينا نفكر

بغيرو

طه: اذا بدنا نضل كل مرة نغير القصة... ما رح تكون المسرحية جاهزة وقت الزيارة ميرا: أنا أصلاً حاسة أنو كل شي عم نعملو ما رح يحبوه... أصلاً أكيد بالمركز بيكون عندون مسرح دمي وعندون ناس محترفين بهالقصة

طه: أنا محترف بالمناسبة

ميرا: بس أنا لا

طه: بدك توقي... منوقف..

ميرا: اذا ما تربطت... رح حس أنو ما عاد في شي رح يرجعون قريبين مني

طه: اسمعيني.. ما رح تربط اذا عم تفكري هيك... لازم تفكري أنو رح تربط.. لازم تفكري.. انو هاد حقلك أنون يضحكوك...

ميرا: خايفة صير غريبة عليون أكثر

طه: اذا كنتي خايفة أكيد حتكوني غريبة عليهمون

ميرا: بس أنا خايفة

(صمت)

طه: خلينا نكمل.. ركزي على أنو الدمية مو بس تحريك راس... الدمية شخصية... لازم نشوف الشخصية بدمية.. بس قبل أنتي نفسك لازم تعيشي الشخصية (تغير ميرا صوتها لشخصية جدبة)

جدبة: أوكي بس بدني بلش غير قصة

أهبل: عندك قصة تانية؟ جدبة: أي... يعني مو قصة.. قصة.. فكرة.. افكار

أهبل: بس أنتي أذكي وحدة بالعالم... وأذكي بنت.. لازم بس يقولولها احكيلنا قصة... بتقوم بتحكي قصة فورا

جدبة: لقيتها للقصة...

جدبة أذكي بنت بالعالم.. بياعة حكايا... بيجو لعندها العالم بيدفعولها مصاري لتحكيلهون حكاية... وبيوم من ذات الأيام.. أجي لعندها زبون أسمو أهبل

أهبل: مرحبا ست جدبة.. خبروني أنو عندك حكايا حلوة كثير.. بدني من عندك حكاية ما حدا سمع مثلها من قبل..

جدبة: تكرم يا سيد...

أهبل: أهبل

جدبة: والنعم يا سيد أهبل

أهبل: اتفضلي سمعينا

جدبة: كان في بنت اسما أحلى بنت بالعالم كانوا شعراتها بلون الذهب وكانوا طوال كثير وناعمين كثير كان وجها صافي مثل الحليب.. وتمها مثل حبة فريز مستوية.. أنفها مرسوم وعيونها جواهر وكانت لما تمشي يطلع منها ضوء.. وكل حدا بيثوف هالضوء... بيوقع بغرامها... بس هي كانت تعيسة...

لأنو هي ما كنت توقع بغرام حدا.. بيوم من ذات الأيام... بيوم من ذات الأيام... كانت (أحلى بنت بالعالم) عم تتمشى عالبحيرة قربت من المي لحتى تتفقد جمالها... بس ما شافت وجهها بالمى.. شافت شب عم بيتسملها وعرفت فوراً أنو هاد الشب اسمو.. (أحلى ولد بالعالم... (لأنو كان طالع منو ضو.. بيثبه الضو اللي بيطلع منها.. بس أحلى بنت بالعالم ما بتعرف تسبح... ومع هيك صارت تمشي باتجاه الشب بكل خطوة كانت عم تمشيها كانت عم تغوص بالمى أكثر... ما خافت أبداً.. بس بردت.. مشان هيك صارت تعجل خطواتها.. شوي شوي لحتى غمرتها المي بالكامل صار الشب يقرب منها وكل ما كان يقرب أكثر.. كان الضو اللي طالع منو عم يقوى.. وباللحظة اللي التقى فيها ضو أحلى شب بالعالم بضو أحلى بنت بالعالم صار إنفجار كبير بالبحيرة.... لا لا لا... .. وباللحظة اللي التقى فيها ضو أحلى شب بالعالم بضو أحلى بنت بالعالم تحولوا التنتين لسمكتين من ذهب... وصار أسمون أجمل سمكتين بالعالم.. صارو يسبحو مع بعض... ومع بعض صارو يدوروا على صدفة يعيشو فيها... صدفة صغيرة ودافية لقوها بأعمق مكان بالبحر... مكان ما فيو شي... ما فيو حدا

====

(طه) رامي: بيروت كانت أول تجربة إغتراب أول تجربة تنفس بعد الثورة.. أول يوم ببيروت هو أول يوم بدون خوف من الحواجز ومن القصف.. كنت بحاجة كم يوم لاستعيد عافيتي... ارتاح وأهدا.. كم يوم صاروا أسبوع شهر.. شهرين... سنة... مرت سنة وأنا بس عم حاول أهدا... ولما بلش أهدا.. اسأل حالي أنا من حقي أهدا؟؟.. من حقي ارتاح؟؟ الوضع بسوريا عم بصير أسوأ... كيف رح أقدر ارتاح ودرعا عم تحترق كيف فيني ارتاح وكل كم يوم بيوصلني خبر موت شخص كان ممكن كون مكانو..

يعني شخص مات بالنيابة عني.. صرت فكر أنو كان أحسنلي لو تمت مع رفقاتي.. الثورة كانت غلط؟ طريقتنا كانت غلط؟.. معقول أنا كان لازم ضل بسوريا وما أطلع؟.. معقول كان لازم نكون أكثر شجاعة بمواجهة النظام؟ هل رح أرجع على سوريا؟ هل رح يضل النظام؟ اذا ضل النظام هل يعني أنو هو انتصار هل يعني أنو نحن انهزمتنا.. واذا نحن انهزمتنا هل يعني الثورة انهزمت؟ هي الأسئلة كانت حياتي ببيروت اذا كان فيني اعتبارا حياة... أبي صار يزورني بأحلامي دايماً أقل.. وتقريباً لما يجي كان ع طول معصب كثير.

طه: معلى انتحر؟

الأب: لو فيك تنتحر ما سألتني

طه: اذا انتحرت بكون بطل؟

الأب: لو كنت بطل ما سألتني

طه: عم فكر إرجع على درعا

الأب: أي درعا؟

طه: درعا الدافية..

الأب: وشو عم تفكر كمان

طه: عم فكر هاجر بالبحر عالمانيا أو سافر عمصر أدرس تمثيل... أو عيش بتركيا واشتغل بمحل شاورما أو ضل ببيروت

الأب: عجبك سكرة العرق ببيروت
طه: والله أنا أعمق مما أنت متخيل
الأب: والله أنت أعمق مما أنا متخيل
طه: صرلك غايب عني كل هالفترة لتقلي هالحكي
الأب شو عم تفكر كمان؟

طه: ضل معك بالحلم أو بتضل معي بالحياة
الأب: يا ريت لو بيمشي الحال...

فقت من الحلم ورحت لعند صديقي اللي بيشتغل بمخيم للاجئين السوريين بلبنان وطلبت أشتغل معه
كمتطوع، خبرتوا أنو أنا عملت بسوريا ورشات بمسرح الدمى وأني عملت بالجامعة فرقة مسرح دمى
وعندي خبرة منيحة بتصنيع الدمى وتحريكها واقترحت عليه.. علم الاولاد مسرح دمى.. وبلشت
فورا... الاولاد أنقذوني... خلوني أتذكر أنو في مستقبل ممكن يكون أحسن... كملت معون عملنا
فرقة سمينها "بكرأ أجلي" وصرنا نعمل دمى ونقدم مسرحيات لأهالي المخيم.. وصرت أنا وهالأولاد
كأنو ما عاد بدنا غير نكون مع بعض

الخيمة اللي كنت درب الأطفال فيها صارت بالنسبة ألي أكثر مكان أمن بالعالم مع أنها خيمة صغيرة
كثير وكان يجتمع فيها كل يوم أكثر من 40 طفل، 40 طفل بكل طاقتون وحيويتون، الخيمة كانت كثير
باردة بالشتا، وكثير مشوبة بالصيف، بس ما حدا كان مهتم.. كانت هي الخيمة جنتنا، بين هال40 طفل
كان عندي مشكلة صغيرة، ولدين بعمر الست سنين هنن رامي ولينا، كانو الأكثر شقاوة بين كل الولاد،
كانو بعالم تاني.. ما لون علاقة لا بالمسرحية ولا بالدمى، كل الوقت أو عم يلعبو أو عم يتقاتلو ولما
يتقاتلو كل الولاد بينضمو للمعركة ولاد مع رامي وولاد مع لينا.. طبعا وقت المعركة بتبطل الأسماء
رامي ولينا.. بيصيرو أهبل وجدبة... ما خليت طريقة ما عملتها لسيطر عليهم ما في أمل... هيك
لحتى أجا يوم رامي ولينا ما أجو على تدريب المسرحية... لما سألت عرفت لينا راحت مع أهلها اللي
قرروا يهاجروا على ألمانيا... وأنو رامي من وقت ما عرف وهو مو رضيان يحكي مع حدا وكل الوقت
عم بيكي.. حاولت أقنعو أنو لينا رح تكون سعيدة بألمانيا.. وأنو ممكن يرجعو يلتقو بالمستقبل.. وأنا عم
أحكيكو هيك ما كنت متأكد أني عم أعمل شي صح.. مو متأكد أنو صح ربيلو أمل أنو يرجع يلاقي
لينا... وخطرلي فكرة.. أنو خيالو لرامي هو اللي يقرر شو ممكن يصير بالمستقبل... اقترحت عليه
أنو نعمل مسرحية جديدة نتخيل فيها كيف شو رح يصير بمستقبل لينا ورامي.. أول شي استغرب
الفكرة.. شوي شوي بلش يحبا... وبلشو كل الاولاد يتشاركو مع رامي بالمسرحية الجديدة عن رامي
ولينا.. وسمينا المسرحية.. أهبل وجدبة

(طه يقرأ من مذكرات ميرا)

اليوم كان عندي جلسة علاج جماعي.. بيجتمعوا هالمدمنين بدائرة ويحكوا تحت إشراف مدير
الجلسة.. كلياتن ناس عاديين.. محامي، عامل بناء، مهندسة، ربة منزل، سائق، أستاذ مدرسة.. ناس
بتصادفهن

بحياتك كل يوم.. ناس قدروا يعيشوا جواة السيستم لحد ما صار شي بحياتن ولقوا حالهم فجأة
منبوذين.. اللي اتعرضوا لعنف منزلي وسوء معاملة.. اللي أفلست شركاتهم وفقدوا وظائفهم
وصاروا مديونين
لقروض البنك.. اللي ارتكبوا أخطاء مهنية بالصدفة ما قدروا يتحملوا نتائجها..

غلطة وحدة وبتصير خارج السيستم.. والسيستم بعاقب بشراسة كل اللي براته.. بس أنا شو كانت غلطتي؟

طه (رامي):

غلطة وحدة وبتصير خارج السيستم.. والسيستم بعاقب بشراسة كل اللي براته.. بس أنا شو كانت غلطتي؟

بال2015 تغير قانون إقامة السوريين بلبنان.. وصار في شروط أصعب للإقامة، كان لازم لاقى حدا يكفلني.. أو عقد عمل.. ما لقيت.. في منظمة اجت وصار بدا تشتغل محلي بالمخيم.. وصاروا يهددونني أن يخبرو عني الأمن العام أني موجود بلبنان بدون إقامة... ما ضل قدامي خيار غير البحر....

اتجمعنا مع بعض خمسين شخص... عطلت مخي عن التفكير وقلبي عن الاحساس وانضميت للمجموعة وين بيروحو بروح شو ما عملو بعمل... لما كنت طلع بعيون الناس كنت حس أنو كلون عملو متلي كل حدا عطل مخو عن التفكير وقلبو عن الإحساس...

كنت خايف كثير من رحلة القارب (البلم) من تركيا لليونان.. كثير كنت اسمع عن قوارب كاملة غرقت باللي فيها.. رحلتنا مرت على خير وبدون مشاكل.. بتذكر كنت قاعد بين شبين.. اللي على يميني حامل

قرآن صغير وعم يقرأ بصوت مسموع، واللي على يساري مجهز كم سيجارة حشيش.. عم يدخن ويغني كمان بصوت مسموع.. صاحب القرآن يخليني اقرأ معه شوي.. وصاحب الحشيش كل شوي يعطيني كم سحبة ويخليني غني معه.. بعد شوي عطيت القرآن للمحشش ومرقت سيجارة الحشيش للمؤمن.. قبل ما

نوصل بشوي ما بعرف كيف صرنا نحن الثلاثة متعاقبين وعم نغني آيات قرآنية!! إي بشرفي! بعد اليونان، بلشت رحلة طويلة كثير.. كان لازم أوصل ألمانيا عن طريق البر.. مشي.. مشي مشي... شرطة.. حدود.. مشي.. هرب... صريخ... وبالأخر لقيت حالي بألمانيا... ومثل ما بلشت حياتي بلبنان وأنا عم دور على طريقة لاتخلص فيها من شعوري بالذنب لأنني تركت سوريا.. بلشت حياتي بألمانيا وأنا عم دور على طريقة لحتى اتخلص فيها من شعوري بالذنب لأنني تركت الاولاد بالمخيم ببيروت.. هيببك لحتى قابلت ميرال.

===

ميرا: طه... طه

طه: في شي أنت منيحة ؟

ميرا: أنا منيحة كثير... قوم نتدرب على المسرحية.. لازم تكون جاهزة المسرحية وقت اللي بدى زور البنات.. لازم يحبوها ولازم يضحكو ولازم يرجعو يحبوني.. ولازم يرجعو عالييت.. ولازم أنا أرجع طبيعية.. لازم كل شي يرجع مثل ما كان قبل الحادث.. هاد كلو رح يصير ما هيك

طه: أي أكيد رح يصير بس مو هلا.. الساعة ستة الصبح

ميرا: هلا رح يصير... يلا قهوتك جاهزة

===

طه (رامي): ما كان قدامي إلا أنو استسلم لرغبتها... وأتدرب معها على المسرحية... ما كنت كثير متفاجئ.. كنت تعودت على تقلبات مزاجها.. اللي مرات بوصل لحد الجنون... مرات حس أنني تعبت وما عاد قدران اتحمل... بس اللي كان عم يصير بهديك الفترة خلا التدريب على المسرحية متنفس لألي الأخبار القادمة من سوريا كارثية، نظام الأسد استعاد السيطرة على ضيعتي في درعا ويبدو أنه في طريقه للسيطرة على كامل مدينة درعا.. أمي اللي قدرت اتواصل معها بصعوبة لاقت لنفسها طريق لتتزوج على الشام.. البروفات مع ميرا ما كانوا سهلين.. مرات كانت تكون متعاونة ومتحمسة.. ومرات تقاوم أنا نفسي ما كنت متأكد أنو المسرحية رح تعمل نتائج جيدة مع البنات.. بس كنت عم شوف كيف أنو أصغر تقدم في التدريبات على المسرحية كان له أثر كبير على مزاجها.. لدرجة أنني صرت قدران شوفها أن قريبة جدا من التعافي من الإدمان وبالتالي عودة أولادها... بصعوبة سارت الأمور.. هيك لحتى صرنا على بعد يومين من زيارة الأطفال وتقديم المسرحية.. ميرا في غرفتها ترفض الخروج... ما عاد عندها رغبة بتقديم المسرحية..

(طه يقرأ من المذكرات)

3 آذار 2019 ، هدوء ما قبل العاصفة

قبل مرحلة الإدمان الأعنف، بتمر على المريض لحظات مميزة جداً من الهدوء والسكينة.. بيقدر فيها يشوف كل شي بصفاء.. إحساسه وتفكيره ومزاجه بكون معتدل تماماً.. كأنه عند نقطة الصفر.. هي لحظات ما فيك تقدر بالضبط أديه رح تدوم.. بس هي إجمالاً لحظات قصيرة.. وكأنه هي فرصتك الأخيرة لحتى تقول شي أو تعمل شي قبل ما تبدأ العاصفة.. قبل ما يرتفع عدّاد الألم من صفر لألف بتسارع رهيب.. قبل ما تتحول لوحش ممكن يحطم أي شي بطريقة..
رحت لعند طوني.. بسته بوسة طويلة.

(يستمر طه بالقراءة ويقرأ بصوته عبارات طوني، ويدخل صوت ميرا لتقول الجمل الخاصة بها)

ميرا: إزا بقيت مدمنة رح تبقى معي؟

طه/ طوني: ميرا أنا أكيد ما رح أتخلي عنك شو ما صار

ميرا: حتى لو بقيت مدمنة كل عمري

طه/ طوني: حتى لو

ميرا: شو بدك تقول لبناتنا عني؟

طه/ طوني: شو قصدك؟

ميرا: لما رح يسألوك عني.. شو رح تقول؟

طه/ طوني: الحقيقة

ميرا: واللي هي شو؟

طه/ طوني: إنك أدمنتي عالمورفين بعد عملية وإنك ما قدرتي تتخلصي منو

ميرا: ليش؟

طه/ طوني: شو ليش؟

ميرا: ليش ما قدرت؟

طه/ طوني: ميرا أنا ما بعرف.. هاد الجواب عندك لازم يكون

ميرا: ما بعرف

طه/ طوني: ميرا لازم تعرفي.. الأوجاع الجسدية ما بعد العملية انتهت.. إنت اليوم عايشة أو هام الوجع.. شي نفسي بحت.. إنت عم تعيشي وجع مو موجود وعم تطلبي المخدر مشان تعالجي وهم ميرا: معك حق.. إنت عطول معك حق.. كلامك دائماً منطقي وبمحلو.. بس مو هاد السبب طه/ طوني: شو لكن؟

ميرا: أنا يا طوني ما عم بقدر وقّف مورفين لأنو يمكن.. ما بدني وقفه.. ميرا: بالعكس.. الإدمان فعلاً هو جحيم.. بس هلاً فهمت ليش هو جحيم.. إزا وقفت مورفين رح أرجع لحياتي السابقة وهاد الشي عم يخوفني

طه/ طوني: ما عم بفهم.. ليش شبها حياتنا السابقة؟ ليش عم تخافي ترجعيلها؟

ميرا: إزا فيك تشوفها من زاويتي رح تموت من الرعب طه/ طوني: إنت عن شو عم تحكي؟ عنا؟ عن حبنا؟ حياتنا وبيتنا وبناتنا وماضيها.. هي الأشياء هي اللي عم ترعبك؟

ميرا: أبداً.. هاد شي حلو كثير.. بس ما بعرف ليش خايفة! ما بعرف شو اللي عم يمنعني طه/ طوني: حاولي أكثر

ميرا: عم حاول يا طوني.. أقسملك إني عم حاول بكل طاقتي.. بس ما عم بقدر حياتنا السابقة حلوة كثير.. وحقيقية كثير.. بس ما بعرف ليش ما عاد قدرانة أرجعلها.. ما بعرف ليش حاسستها مرعبة.. كأنني عم شوف وجه ثاني من الحقيقة.. ميرا: عم شوف حياة ما فيها رحمة، وهاد الشي عم يخوفني أرجعلها أنا لسا بدني أتعاقي ولسا بدني أخلص من هالجحيم.. بس لما عم بطلع على حياتي السابقة ما عم شوف غير جحيم ثاني.. وكأنني علقت بين جحيمين..

(تدريجياً يعلو صوت ميرا ويتشنج وكأنها تفقد السيطرة على أعصابها)

أنا بهاللمحة قدرانة شوف الأشياء بوضوح وأحكي بهدوء وتركيز.. بس هاد الشي ما رح يدوم.. رح أرجع للهلوسة والتشنج وما بعرف بالفعل إزا رح أقدر أنفد هي المرة.. فأرجوك اسمعني منيح.. إنت الوحيد اللي بهمني اشرحلو شو عم حس.. إنت الوحيد اللي بهتم أحكيه الحقيقة..

طه/ طوني: ميرا أنا بالفعل ما عم أقدر أفهم عليكي ميرا: يمكن أقدر أتجاوز هالمرحلة وأتعاقي من المورفين.. ويمكن لأ.. يمكن تتطور حالتي ويحجروا علي ويمكن موت بالنهاية.. بس بكل الأحوال لازم هلاً نتفق شو بدنا نقول لبناتنا بس يكبروا..

طه/ طوني: منحكي بهالشي بعدين.. لا تشغلي...

ميرا: طوني ما في وقت.. فهمني.. لازم هلا نتفق..

طول عمري كنت عم حاول كون ناجحة وقوية ومتوازنة.. كنت عم شوف كل شي سيء من حوالينا ولاقيلو تبريرات منطقية وكمل بحياتي وقول يمكن ما منقدر نعمل شي..

طه: ميرا...

ميرا: بس اكتشفت إنني كل شي كنت عم بعملو إنني عم خزن الوجع جواتي.. أنا نفسي ما عم بعرف كيف مخزنة كل هاد جواتي.. يمكن هاد هو السم الحقيقي طوني..

طه/طوني: شو هو؟

ميرا: لا تحاول تكون بطل لما تكون ضعيف..

طه/طوني: ميرا ما عم بفهم عليكي

ميرا: إنت جد لما بتطلع عالمراية بتعرف حالك بسهولة؟

طه/طوني: ميرا إنت عم تهلوسي

ميرا: أرجوك قول لبناتنا إنو أهمهم اختارت الإدمان بملئ إرادتها وعلى علم كامل بالمخاطر.. وإنها اختارت تبقى فيه بالنهاية.. وخليهن يسألو حالن ليش.. إذا انا وإنت ما قدرنا نفهم اللي صار ليش صار بركي هنن بيقدروا يعرفوا ليش أمهن عملت هيك..

طه: ميرا....

ميرا: بدي ياهن ما يخافوا يكونوا متلي، بس كمان ما بدي ياهن يعيشوا الجحيم اللي عشته واللي عم عيشه..

(صوت طه يكرر اسم ميرا يتزامن من صوت طرق عنيف على الباب)

===

(طه) رامي: ميرا.. لحيت وأنا عم دق على باب غرفتها. بتصرخ.. بزداد إلحاح.. بتفتح الباب وبتنفجر

(تنفجر ميرا بالصراخ)

ميرا: كول خرى كول خرى... كول خرى... أنت غبي... مفكر حالك بطل.. أنت بالحقيقة فاشل.. عم يغطي فشلو بانو عم يمثل دور البطل بحياتي روح أعمل بطل ببلدك... اطلع من حياتي

(طه) رامي:

هجمت علي ضربتني وسكرت الباب بقوة.. أنت غبي... مفكر حالك بطل.. أنت بالحقيقة فاشل.. عم يغطي فشلو بانو عم يمثل دور البطل بحياتي روح أعمل بطل ببلدك... اطلع من حياتي... يكنت هي الجملة براسي كأنها الحقيقة حسيت أني تعبان.. حسيت أني بحاجة استسلم.. وقررت أنو خلص... رح أترك البيت فوراً.. أنا شو عم أعمل بحالي.. أنا عم حط حالي دائماً بهيك مواقف.. أنو أنا بدل ما كون عم بلش حياة جديدة وعم بلش أبني مستقبلي.. .. تاني اليوم الصبح كنت عم ضب غراضي وجهاز حالي للطلعة.. بالوقت اللي هي كانت هديت فاتت لعندي ولابسة بإيدها الدمية تبعتها

===

جدبة: يا أهبل.. يا أهبل

(طه لا يرد)

جدبة: عن جد أنت أهبل

طه: ميررا.. شو بدك

جدبة: أنا ما بدني شي.. جدبة اللي بدا.. بس رد عليها

طه: شو بدك يا جدبة جدبة: ما تروح خليك هون ميررا بتحبك.. وهي بتعتذر عاللي عملتو مبارح

ميررا: أنت بتعرف وضعي وتعرف أنني وصلت للحظة ما كنت فيها بعقلي.. ولا كنت قاصدة أنني أضربك

طه: الحكى اللي قلتيه من وين أجا بلحظتها فكرتي فيه وقتيه؟... ولا كان موجود أصلاً
ليش ما قلتي أنك بتشوفيني فاشل وعم غطي فشلي بأني ألعب معك دور البطل؟
أنت شايفة أنني عم ألعب معك دور البطل؟

ميررا: هاد الحكى كلو مو صح.. أنا قلت هيك.. بس لحتى دايفك.. لحتى تتركني بهديك اللحظة بحالي..
كان بدني بس كون لحالي.. وأنت ما كنت عم تفهم عليي

طه: أوكي بس بالنسبة خلص بيكفي لهون أنا ماشي

ميررا: أنت عم تخذلني هيك

طه: يمكن بس أنا ما عاد بدني حط حالي بهاد المحل يا بخذل حالي يا بخذل اللي حوالي.. اللي عملتي
معي مبارح بيشبه اللي صار معي بسوريا.. وطلعت من سوريا غصبا عني.. وبيشبه اللي صار
معي بلبنان وطلعت من لبنان غصبا عني وتركت الاولاد اللي شغلي معهمون عطا لحياتي معنى..
كمان غصب عني.. وهلا أنا تاركك وماشي غصب عني.. بكل مرة كنت عم أعطي كل شي فيني
أعطيه وبالأخر عم لاقى حالي لازم أمشي لأنو مالي مكان لا بسورية وقت الثورة ولا ببيروت مع
أولاد المخيم.. ولا هون معك.. الوقت عم يمر وأنا علقان بدوامة آخر حدا عم أقدر ساعدو هو حالي..

ميررا: وأنا

طه: توني موجود.. بحبك وبتحبيه.. فيكون تساعدو بعض

ميرا: والمسرحية والاولاد

طه: يا أما بتعملها لحالك... يا أما بلاها... ما ألهأ معنى

ميرا: أنت بتعرف شو عم تعمل؟

طه: صرلي تمن سنين مفكر حالي بعرف شو عم أعمل... وليكي أنا وين كل مالي عم أغرق أكثر

ميرا: أنت قررت تعطيني أمل.. وأنت قررت تقتلو

طه: أناي يعني... يا ريتني أناي... بتظمن على حالي شوي

ميرا: انت عم ترفض تسامحني... كثير سهل تطلب ألو الناس تسامحك.. بس أنت ما فيك تسامح

طه: تماما.. لأنني عم اتظاهر أني بطل.. بس أنا بالحقيقة... فاشل

(يخرج)

===

طه (رامي): مر شهرين بدون ألو أعرف شي عن ميرا... فكرت كثير ألو أتصل فيها وفكرت أنه من الأفضل أن أتريث باتصالي، كان بدي خبرها أني بفتقدها، وأنني رح أبدأ حياتي في برلين بأمل كبير وأنني قطعت شوط كبير في تعلم اللغة الألمانية، وأنني رح أبدأ عن قريب دراسة المسرح في الجامعة وباللغة الألمانية، وألو هاد كلو ما كان حيصير لولا دعمها، وأنني بفكر أحياناً أني بالغت في ردة فعلي على الشي اللي صار.. رح خبرها أن لسا معي دفتر مذكراتها وأنني رح رجعلها اياه مشان تكمل كتابة حكايتها.. ورح اسألها ليش توقف عن الكتابة بعد ما التقينا لأول مرة... ورح خبرها أني قررت اكتب حكايتي.. ورح اتعلم من طريقتها بالكتابة لأنني حبيتها كثير.. أخيراً أعترفت لنفسي أنني مشتاق لسماع صوتها... قررت ألو أتصل بس لخبرها أنني اشتقت لصوتها... اتصلت فيها بس ما سمعت صوتها.. كان صوت طوني... ميرا ماتت من أسبوعين بجرعة مورفين زائدة

===

صوت ميرا وطه في وقت احد ينفصل الصوتان تارة... ويندمجان تارة أخرى

بحب بداية الصيف في برلين.. اليوم نزلت مثل العادة مشي أركو... بس في شي بهاليوم مختلف عن باقي الأيام.. الشمس عم تبعت ضوء دافي ببفوت الضوء بمسامات جسمي لجو جوا.. ليوصل عقلي.. قلبي اللي ما يبشبع من الدفا... كألو ببعيش عالدفا... كانوا مدمن عالدفا... مع الدفا نسمات باردة خفيفة بتداعب وجهي كألو عم تبوسني اللون الأخضر محاوطني من كل الجهات... والوقت بطيء وكألو ما عم يمشي تذكرت سؤال منحب نتسلى بالإجابة عنو أنا وطوني لما نكون سكرانين... شو الطريقة اللي بتتمنى تموت فيها... صعب كثير السؤال... أصلاً أنا ما كنت حبو ولا حاول جاوب عليه بس هلا حاسة كألو عندي الجواب.. بيوم مثل هاد... أشلح تيابي... واتسطح عالتراب... وسلم حالي للشمس... وموت... وقفت.. اخترت البقعة اللي رح اتسطح فيها وبلشت فك أزرار الفستان لولا ألو أركو بصوتو طلعتني من الحالة لقيتو هجم على شب وصار يشمو ويلحوسو... أنا بعرفو لهاد الشب بضل بشوفو على نفس المقعد.. بيضل لحوالو بالحديقة وبيضل عم يدرس ألماني... شب ثلاثيني أنيق.. غالباً ما يكون مبتسم.. وغالباً ما بيقد بمكان ما فيو حدا... وجهو مريح كثير.. وبيعطي احساس ألو شخص لطيف وثقة.. ويبدو أن أركو حبو ركض لعندو.. وصار بدو يلعب معو...

الشب تجاوب معو وصار يلاطفو.. مع انو كان مبين عليه أنو خايف وأنو مخبي أنو خايف... قررت ما بعد الكلب عنو... قررت طمنو... قربت منو... قعدت جنبو.. مديتو أيدي

ميرا: هللو أنا ميرا.. كلبي اسمو أركو قليل كتير ليحب يلعب مع الغريا

طه: هللو ميرا أنا طه

ميرا: بهاد اليوم الخاص أنا قابلت طه..

طه (رامي): ها أنا اليوم في برلين.. أعود إلى الدائرة ذاتها.. لو أنني بقيت في درعا ربما كنت سأحدث فرقا في سوريا.. لو أنني بقيت مع الأطفال في بيروت ربما كانوا سيصدقون الأمل... لو أنني بقيت مع ميرا لكانت حية الآن.. وربما تعافت من المورفين.. وربما كانت سعيدة لكنني تركتها..
كأنني
قتلتها...

الأب: أنت بتعرف تعمل أي شي ثاني غير أنك تزعل.. وتخبرني أنك ضحية..

طه: أنا حاولت

الأب: بس ما كملت

طه: أنت صرلك زمان قاطعني وما عم تزورني

الأب: الأموات مشغولين يا طه.. بكرا بس تموت بتعرف

طه: أنا ما عاد بدي كفي هي الحكاية.. بدي حكاية ثانية

الأب: الأبطال ما بيغيروا حكايتون.. الأبطال بيكملو حكايتون

طه: طيب اذا كملت حكايتي بترجع بتزورني وأنت مبتسم

الأب: ما فيني أو عدك بشي

طه: وأنا كمان ما فيني أو عدك بشي

===

النهاية

